بجمالها، مهما كانت تشغل وظيفة عالية؛ «فالمرأة هي المرأة دائماً، سواء ألبست النقاب والخلخال، أم الوسام وخوذة القتال»[31]. هذا فضلاً عن عدم كفاءتها في العمل، وفضلاً عن إهمال بيتها.

ويذهب الحكيم في معارضة المرأة العاملة إلى درجة اعتبارها مربضة بما يسميه «عقدة الرحل»[32].

ففي حوار للحكيم أجراه معه «فؤاد دوارة» يصرح بأنه يخالف المرأة التي أصبحت تطالب في المجتمع بوظيفة تشبه وظيفة الرحل، وتحس أنها مساوية له في كل شيء وفي كل أعمال الحياة، بحيث تضخم هذا الإحساس بالمساواة إلى درجة أنه يمكن أن يسمى «عقدة الرجل».

والسبب في مرض المرأة بـ«عقدة الرجل» في رأي الحكيم يعود إلى ما رسب في أعماق وجدانها منذ أجيال عديدة من تفضيل الذكر على الأنثى، وفرح الأبوين حين يرزقان بمولود ذكر، وحزنهما حين يرزقان بمولود أنثى[33].

ومن هنا فإننا نجد الحكيم يهاجم «قاسم أمين» ويخاطبه في لهجة تشيع فيها نغمة العتاب والأسى والأسف، لا لشيء إلا لأنه دافع عن حرية المرأة، وأطمعها في منافسة الرجل وتقليده في كل شيء، حتى في الرذيلة، وارتكاب المعاصي والموبقات، ورفض البقاء في البيت، وازدراء الأمومة: «لقد حققنا أملك نحن الرجال (يخاطب قاسم أمين)، وأدخلنا المرأة المدارس الابتدائية والثانوية، ولكنها أبت إلا أن تدخل الجامعة. فأدخلناها الجامعة.. وتخرجت فيها طبيبة، ومحامية، ومدرسة، وأديبة، وفيلسوفة.. إلخ وإلى هنا لا بأس. ولكن لا شيء يقف بالمرأة عند حد.. إنها تريد أن تكون سياسية، وأن تدخل البرلمان، وأن تكون وزيرة ورئيسة وزارة.. لأن كلمة «البيت» في نظرها أصبحت مرادفة لكلمة «السجن».. ومن أراد إقامة فاصل بين الجنسين تعرض لنقمتهن، واعتبرته خادشاً لكرامتهن. إنهن والرجال سواء. إذا سبح رجل في بحر، وجب أن يسبحن معه، وإذا دخل ملهى لا بد أن يدخلن معه. وإذا دخن كان لهن أن يدخن، وإذا احتسى الخمر، كان الخمر لهن حلالاً. وإذا لعب